مناطق محررة، التحشدات والتظاهرات في الشوارع وان تراجعت، الاضرابات على دأبها، الاعلام الفلسطينية ترفرف على اعمدة الكهرباء والاشجار، الشعارات تطرز على الاسوار والجدران.

مقاطعة العمل في مستعمرات ٦٧ على حالها وبقدر اقل العمل في المشاريع اليهودية في ٤٨، اما المنتوجات الاسرائيلية فقد تقلص وجودها في الاسواق الفلسطينية... بل غدت المقاطعة ثقافة جماهيرية، وحدائق المنزل وتربية المواشي والجمعيات الانتاجية اينما يممنا النظر.

اما الركيزة التنظيمية فقد ارتبكت، ولم يعد بالامكان الحفاظ على القيادة الموحدة للانتفاضة او اللجان الشعبية التوحيدية... لقد ظهر للعيان الاصطفاف المؤيد لمدريد والاصطفاف المناهض لمدريد، وتجلى ذلك في البيانات ووسائل الاعلام والتعبئة الداخلية.

حصل تصدع في جدار الانتفاضة.

لبعض الوقت، وفي فترة انتقالية تغلبت روح الانتفاضة، ولكن الوحدة الميدانية تتطلب قراراً سياسيا غائبا تراجعت فُرَصُهُ مع تقدم مسار مدريد. فاللقاءات الثمانية التي عقدها بيكر بين الفلسطينين والاسرائيليين لم تنجح في تفكيك الانتفاضة، اذ حافظت القوى المنتفضة على الوحدة الميدانية، دون ان ينجح التراشق السياسي في نسفها، سيما بعد جيشان انتفاضي استمر سنوات بين التكوين الوطني الفلسطيني وسياسات الاحتلال، بما اكد على الأنموذج الكفاحي للشخصية الفلسطينية والمشاركة الواسعة للجماهير. لقد القى الخلاف السياسي بظلال كثيفة من الشكوك والتباينات ولكنه لم يحدث انعطافا، اما وقد تحول الخلاف لانقسام سياسي، فمدريد انجز المهمة.

انقسم الموقف الفلسطيني وبات هناك تيار اساسي يؤيد هذا المسار وتيار اساسي يناهضه... واصدرت الجبهة اربعة اعداد من جريدة التصدي، كل عدد بعشرات الاف النسخ، وقامت كل القوى بالتنظير لخياراتها المتباينة...

(على امتداد اشهر بعد مدريد، تغلبت روح الميدان، فرياح الامس قاومت، اما بعدئذ فقد تبدلت المناخات وتغلبت الرياح المعاكسة. ويمكن القول ان الانتفاضة كغليان شعبي اصيبت في الصميم وانكفأت الى اعمال وتحركات متفرقة. وراحت تعاميمنا ومراسلاتنا الحزبية تستحث الرفاق والرفيقات على الثبات في الميدان، ولكننا بتنا نسمع ايضا كلمات مظفر النواب «صالح قادتنا الاعداء ونحن نحارب».

وقررت قيادة الداخل دفع المزيد من القوى في المعمعان وفاء لدماء المنتفضين، ولكننا خشينا